مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 02، جوان 2024، صص: 19- 32
تاريخ الاستلام(2022/07/06)تاريخ القبول (2024/04/06)تاريخ النشر(2024/06/30)

حجاجية خطاب المرأة في سورة آل عمران

The Woman's Argumentative Discourse in Al-ImarnSurat

عبد الدايم عبد الرحمان
جامعة البويرة (الجزائر)nacerabderrahmane@yahoo.fr

ملخص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـ: "حجاجية خطاب المرأة في سورة آل عمران" إلى استغلال النظرية الحجاجية واستثمارها في دراسة خطاب المرأة في القرآن الكريم. ويقصد "بخطاب المرأة "الخطاب الذي صدر إليها أو الذي صدر عنها، أي ما أجراه الله سبحانه وتعالى على لسانها، وقد وقع الاختيار على خطاب امرأة عمران الوارد في سورة "آل عمران".

كلمات مفتاحية: الحجاج؛ الخطاب الحجاجي؛ خطاب المرأة؛ أسلوب الحجاج؛ بنية الحجاج؛ السلّم الحجاجي.

Summary:
This study, entitled « The Woman's Argumentative Discourse in Al-ImrarnSurat" seeks to exploit the argumentative theory and invest it in studying woman's speech in the Holy Quran. By "the woman's discourse", it is meant the discourse that was addressed to her or the one that originated from her, i.e., what Allah the Almighty has uttered on her tongue. The choice has fallen on the discourse of the wife of Imran mentioned in "Al-Imran"Surat.
Keywords: Argumentation, argumentative discourse, woman's discourse, argumentative style, argumentative structure, argumentative style

المؤلف المرسل: عبد الدايم عبد الرحمان، **الإيميل:** nacerabderrahmane@yahoo.fr

1 مقدمة :

إنّ إعادة قراءة القرآن الكريم قراءة معاصرة، يقتضي مقاربته وفق الدراسات المعاصرة، ومن بينها الدراسة التي تنظر من زاوية تعنى بالحجاج أو المحاجة.

من جهة أخرى، يحتل خطاب المرأة القرآني مكانة رفيعة، إيمانيّة واجتماعية وفكرية وأخلاقيّة، وهذا لأنّ القرآن الكريم قد راعى كينونة المرأة وطبيعتها.

من هذا المنطلق، فإنّ إشكالية هذه الدراسة تحاول بالاستقراء والتحليل تتبع كيفيّة تشكل الخطاب الحجاجي في خطاب امرأة عمران في سورة "آل عمران".

2.الحجاج، مفهومه، مجالاته، قضاياه

1.2مفهوم الحجاج:

تشير لفظة حجاج في مدلوله اللغوي إلى عدة معان، حيث نجد في اللغة العربية لفظة الحجاج والمحاجة التي مصدرها الفعل حاجج، جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي: «الحجة: هي البرهان أو ما دفع به الخصم، وتجمع الحجة على حجج، وحجاج، ويقال حاجه محاجا وأي نازعه الحجة»[1]. أمّا في اللغة الفرنسية نجد لفظة (argumentation)، تدل حسب معجم robert **اروبير** على: «مجموعة من الحجج التي تهدف إلى تحقيق نتيجة واحدة، أو فن استعمال الحجج أو الاعتراض على مناقشة معينة»[2]. إذن فالحجة في اللغتين تحيل على الإثبات والدليل، والحجاج يطلق على التخاصم والمعارضة.

أمّا التعريف الاصطلاحي للحجاج، والذي في ضوءه تبلورت نظرية تعنى بالحجاج وخاصةً على يديبيرلمان Perlman وديكرو Ducrot، فالأول يجعله جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإذعان بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع[3]، معتبرًا غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل[4]، ويعرّف الحجاج في مؤلفه رفقة تيتيكاه tytéca الموسوم بـ: مصنف في الحجاج أو البلاغة الجديدة، بأنّه: «إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الأخيرة الملائمة »[5]. فالحجاج حسبهما يأخذ من الجدل الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعانا نظريّا مجردًا لفحوى الخطاب، وما جاء فيه من آراء ومواقف، وهو يأخذ من الخطابة أيضًا وسيلة لتوجيه

السلوك، أو العمل والإعداد له، والحض عليه. أمّا الثاني فيرى أن الحجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها.

وعرّف ديكرو الحجاج في كتابه الحجاج في اللغة، الذي ألفه رفقة جون كلود أنسكيمبر(jean Cloud Anscombre) بأنّه: « نقول عن المتكلم أنه يقوم بحجاج حينما يقدم القول ق1، أو مجموعة أقوال، وغايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول أو أقوال أخرى»[6] معنى ذلك أنّ الحجاج يتضمن إنجازا لعمليتين: الأولى تتعلق بما يقدمه القول من الحجج، والثانية تتعلق بما يحيل عليه هذا القول من استنتاجات مما يعني أنّ الحجاج مرتبط بالاستنتاج الذي ينشأ من داخل اللغة لا من خارجها، يقول: "إنّ التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما، ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشمل عليها "[7]، فميزة الحجاج عند ديكرو هو التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية، وإبراز سمة الخطاب التوجيهية.

من خلال استعراض هذه التعريفات نجد أنّ بيرلمان وزملائه، وأيضا ديكرو انطلقوا من المعنى اللغوي للحجاج ليؤسسوا نظرية تهتم بالحجاج، وأرسوا مبادئها، وأقاموا ركائزها لتستوي نظرية تسهم في دراسة الخطاب.

2.2 الحجاج بين الأسلوب والبنية:

إنّ دراسة التقنيات التي ينبني عليه الحجاج يقتضي التطرق إلى أسلوب الحجاج من جهة، وبنية الحجاج من جهة أخرى:

2-2-1 أسلوب الحجاج:

إنّ الأساليب التي يلجأ إليها الباث للاقتناع بالحجج والعلاقات الحجاجية، وتأكيد تلك العلاقات، من شانها أن تدعم الطاقة الحجاجية في القول، ولذا فانّ دراسة أسلوب الحجاج يكون بالبحث عن مختلف الفنيات التي تعتمد للإقناع أو الحمل على الإذعان[8] فنيات تختلف من نص إلى آخر، ولكنها تؤكد على حال أنّ الحجاج لا يعني حشد الحجج وربط مفاصل الكلام، وتعليق بعضة بالبعض الآخر فحسب، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتركيب وأزمنة الأفعال وصيغ الكلمات وأنواع الصور ومصادر التصوير، هذه الاختيارات يجب تراعي غاية الخطاب وتلاؤم وضع المتلقي ومقتضيات الحال ومنها[9]:

- **مطابقة الكلام لمقتضى الحال**: بما أنّ اللغة نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معيّنة من السياق[10]، فإنّ البحث في السياق هو في جوهره انشغال بالمتلقي باعتباره الهدف المقصود في الخطاب، والموجّه لهذا الخطاب أيضًا، على هذا النحو يقتضي الخطاب الحجاجي بين باث ومتلق ظروف قول معيّنة، واختيارات دقيقة تلائم وضع المتلقي وتستجيب لأفق انتظاره، وتنسجم مع ظروف القول وملابساته.

- **وسائل التأثير**: هناك مستويان للتأثير، مستوى اللغة ومستوى البلاغة، هذان المستويان يمكن الفصل بينهما نظريّا، ولكننا نقرّ بتكاملهما وتفاعلهما العميق على المستوى الفعلي الواقعي:

أ- **مستوى اللغة**: يهتم بالاختيارات اللفظية والتركيبية التي يعتمد عليها الباث لغاية حجاجية، فيحل اللفظ المحدد مكانا معينّا، ليقود المتلقي إلى غاية ما، ويعتمد تركيبا دون الآخر ليقنعه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كليته.

ب- **مستوى البلاغة**: يكون بالبحث عن العلاقة بين مختلف الأساليب البلاغية بحجاجية الخطاب، هل بإمكان المجاز والجناس والطباق والتورية وما إلى ذلك من وجوه البلاغة أن تدعم طاقة القول الحجاجية، وأن تثبت قدرته الإقناعية، فتُعدُّ عندها من وسائل التأثير والاستمالة.

2-2-2 بنية الحجاج:

ونعني ببنية الحجاج مختلف الحجج في أي خطاب حجاجي، التي يوظفها المحتج لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان، ثم حصر هذه الحجج وتصنيفها وإبراز الفوارق بينها والبحث خاصةّ في دواعي اختيار صنف من الحجج دون صنف آخر، أو التركيز على نوع منها دون سائر الأنواع[11]، على أن تصنيف الحجاج الشائع والمتداول في أغلب الدراسات الحديثة إنّما يقوم على شكل الحجة وعلاقاتها بالمقدمات ذاتها، ويكون هذا كله داخل السياق لأنّه لا يمكن دراسة الحجج مستقلة عن سياقها الذي وردت فيه، والاتفاق المبدئي على جملة المقدمات لا يعني بالضرورة صدق هذه المقدمات واقتناع المتلقي كليّا بها، وإنّما لا نخرج الحجاج عن إطار الممكن المحتمل، ذلك أنّ المقدمات متى كانت صادقة وضرورية تستوجب تسليم المتلقي كليًّا بها، والمقدمات التي ينبني عليها الحجاج وتؤسس عليه مختلف الحجج، ينبغي اختيارها بطريقة تجعلها حجاجية، فانتقاء المقدمات ضروري وأساسي في عملية الحجاج إذ لا بدّ للمحتج لفكرة أو موقف أن يكيّف مقدماته مع أهداف خطابه.

ويُعتبر تصنيف برلمان الذي يبدو مقنعًا لأنّه يُبرز الفوارق بين الحجج ويُظهر الاختلافات بينها، وهذه الأصناف جامعة لعدد كبير من الحجج الفرعية، والأصناف الكبرى هي[12]:

أ-الحجج شبه المنطقية: هذه الحجج تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق أو التعددية، أو التناقض، ولكنها خلافًا للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن ترد بيسر بدعوى أنها ليست منطقيّة، يقول بيرلمان موضحًا هذا القول: «إنها حجج تدعى قدرًا محددًا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكليّة المنطقيّة أو الرياضيّة ومع ذلك فإنّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية لأنّ جهدًا يبذل في سبيل الاختزال أو التدقيق فحسب- يكون ذا طبيعة لا صورية- يسمح بمنح هذه الحجج مظهرًا برهانيًا ولهذا السبب ننعتها بأنّها شبه منطقيّة»[13]. هذا يعني أنّ الحجج شبه المنطقية تتخذ قالبًا منطقيا شكليّا، فيه تحشر المعطيات وتكيّف فتجعلها شبيه باستدلال منطقي صارم.

ب-**الحجج المؤسسة على بنيّة الواقع**: يعتمد هذا الصنف على التجربة، وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم، فالحجاج هنا تفسير للأحداث والوقائع وتوضيح للعلاقات الرابطة بين الواقع وأشيائه والخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على التأثير في المتلقي كلما ارتبط بالواقع، والحجج المؤسسة على بنيّة الواقع كثيرة لا يمكن حصرها.

ج- **الحجج المؤسسة لبنيّة الواقع**: في هذا الصنف من الحجج العلاقة تربطها صلة بالواقع ولكنها لا تتأسس عليه، ولا تنبني على بنيته، وإنّما هي التي تؤسّس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله، وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه أو تجلي ما لم يتوقع من العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته.

د- **الحجج التي تستدعي القيّم**: فالمحتج يعتمد في هذا الصنف على قيّمٍ ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية وغايات خطابه المنشودة، فترى المتكلم يرفض فكرة ما بحجة أنها تعارض قيمة معيّنة، ويدعو إلى موقف ما باسم قيمة محددة وينعى على الخصم سلوكا ما يتنافى مع قيمة واحدة، أو مجموعة قيّم، ويمكن أن تقسّم القيّم إلى ثلاثة أنواع: قيّم عالمية وقيّم التزام مجردة، وقيّم فعل محسوسة.

هـ-**الحجج التي تستدعي المشترك**: ويكون بالاستناد إلى ما يشكل موضوع الاتفاق بين المتلقين، أو يمثل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم، ذلك أنّ للمشترك سلطة على

النفس، فهي تذعن لما تعودت عليه أو لكل ما يستدعي ما تعودت عليه، وتنفر مما يخالف ما عرفته ويجانب ما آمنت به وصدقته، فيشكّل استدعاء المشترك ركيزة هامّة من ركائز الحجاج، به يقنع المحتج لمبدأ أو فكرة متلقيه، أو يحمله على الإذعان لما ورد في خطابه.

من هذا العرض النظري يمكن الوصول إلى نتيجة هامّةٍ، وهي أنّ نجاعة الخطاب الحجاجي لا تعني بالضرورة صدقه، بل تعني توظيفاً ذكياً لشروط النجاعة من خلال حسن الانتقاء باختيار كل العناصر المكوّنة للخطاب، لذا يحتاج المحتج أحيانًا تغييب بعض القضايا والسكوت عمدًا عن بعض الجوانب وتناسي بعض الأسئلة، وهو اختيار تحتمه أوضاع معيّنة يكون الصمت فيها أبلغ من الكلام، والتناسي فيها أعقل من الرد والكلام والتجاهل أبلغ من الجدال والحجاج.

3.آليّة تشكل الخطاب الحجاجي في خطاب امرأتُ عمران الوارد في سورة آل عمران:

تتطرق هذه الدراسة إلى الخطاب القرآني من زاوية تعنى بالحجاج، وقد وقع اختيار مدوّنة القسم التطبيقي على خطاب المرأة في القرآن الكريم، ويُقصد "بخطاب المرأة "الخطاب الذي صدر إليها أو الذي صدر عنها، أي ما أجراه الله سبحانه وتعالى على لسانها. وقد وقع اختيارنا على خطاب امرأة عمران الوارد في سورة آل عمران في الآيتين 36/35. والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿**إِذْ قَالَتِ اِمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرّرًا فَتَقَبَّل مِنِّي إنّك أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، فلمّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ ربّ إنّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى والله أعلم بما وَضَعَتْ وليس الذّكر كالأُنْثَى وإنّي سميتها مَرْيَمَ وإنّي أُعِيذُهَا بِكَ وذُرّيَّتَهَا من الشيطان الرّجِيمِ**﴾ [آل عمران،36/35]

فما هي خصائص أسلوب الحجاج في خطاب امرأة عمران في القرآن الكريم؟

1.3الأسلوب الحجاجي:

أوّل أسلوب حجاجي يتعلّق بنسبة القرآن الكريم لهذه المرأة إلى زوجها عمران، بقوله: ﴿**اِمْرَأَتُ عِمْرَانَ**﴾، وهي أم مريم بنت عمران عليها السلام، وقيل اسمها حنّة بنت فاقوذ بن قبيل[14]، وقد أدّت هذه النسبة وظيفة حجاجية، لأنّ زوجها أكثر شهرةً منها، كما أنّ ذكر علاقتها بزوجها مهم في هذا السياق، لأنّ الموضوع يتعلق بالحمل والولادة، والزوج عنصر مهم في العلاقة الزوجية. بالإضافة إلى هذه الخاصيّة توجد عدّة خصائص ميّزت هذا الأسلوب الحجاجي:

أ-الحذف:

حذف أداة النداء يا في قوله: ﴿**رَبِّ**﴾ أدى وظيفة حجاجية، لأنّ أداة النداء "يا" هي للمنادى للبعيد، والله سبحانه وتعالى قريب، ولكن في ذلك إشارة إلى بعد منزلته سبحانه، ورفعة مكانته جلت قدرته، التي لا تقتضي البعد، كما يظهر لنا أنّ الدعاء الذي سلكته امرأة عمران يأتي غالبا في مواطن إظهار الضعف لله سبحانه وتعالى، وهذا هو مقام القرب والتذلل والبعد عن كل دلائل التكبر أو الاستغناء، عكس لو كان ذلك في إظهار (يا) التي قد تشعر بالأمريّة أو البعد.

ب-التوكيد:

يؤدي التوكيد وظيفة حجاجيّة لأنّه يرسخ المعنى في ذهن المتلقي، وقد ورد التوكيد في خطاب امرأة عمران في عدة حالات هي:

- في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ**﴾ فقد جاء الخطاب هنا مؤكدا بـ (إنّ) وذلك أن تتنازل الوالدة عمّا في بطنها، والتوكيد هنا بـ (إنّ) دون غيرها لما فيه من إضافة إليها بسبب ياء المتكلم، وذلك يشعر بعنايتها الخاصة به، كما أنّ هذا التوكيد فيه إبراز مدى رغبتها في مضمون الجملة[15]، وإسناد النذر إلى ضمير المتكلم بعد ذلك يسير في طريق التأكيد الذي بدأته بـ (إنّ)، وقد أدى هذا التوكيد وظيفة حجاجية.

-في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾، حيث ذيلت امرأة عمران طلبها وعرضها بالثناء على الله سبحانه وتعالى بصفتي السمع والعلم، وقد بدأ هذا التذييل بـ (إنّ) التي تفيد التوكيد والتعليل. لتأكيد قوة يقينها بمضمونها، وجاءت بالخطاب في ﴿**إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾، دون (إنّ الله) دلالة على قرب المخاطب، وذلك رجاء في قبول الطلب، وقد أدى هذا التوكيد وظيفة حجاجية.

-قوله تعالى: ﴿**إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى**﴾، حيث تكرر التوكيد بـ (إنّ) لأنّ الأمر على خلاف المتوقع فحقه التوكيد، لأنّ هذا التوكيد سبقه الفعل ﴿**قَالَتْ**﴾ الذي يعني تحسرا، "وربما أنّه يعود إلى الاعتناء والمبالغة في القسم الذي قصدته والرمز إلى أنّه صادر إلى من قلب كسير وفؤاد بقيود الحرمان أسير"[16]، وهذا ما أكده الطاهر بن عاشور في قوله: "وتأكيد الخبر بـ (إنّ) مراعاة لأصل الخبرية، تحقيقاً لكون المولود أنثى، إذ هو بوقوعه على خلاف المترقّب لها كان بحيث تشك في كونه أنثى، وتخاطب نفسها بنفسها بطرق التأكيد فلذا أكدته "[17]، فنجد أنّ امرأة عمران لم ترد الإخبار بالمدلول المباشر له، لأنّ المخاطب به هو الله العليم بحالها

تلك، فهي لا تخبر ربها بمضمون الخطاب وإنّما كان لها قصد آخر، هو "إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها، والوفاء بما التزمت به، والاعتذار، حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته "[18]، وقد أدى هذا التوكيد وظيفة حجاجية.

-في قوله تعالى: ﴿**إنّي سميتها مَرْيَمَ**﴾، بدأت الجملة بالتوكيد ﴿**إنّي**﴾ مع أنّه لا إنكار ولا شك يستوجب ذلك ظاهر، لأنّها هي التي تولت التسمية، بسبب موت زوجها وهي حامل، وقد أدى هذا التوكيد وظيفة حجاجية.

- في قوله تعالى: ﴿**إنّي أُعِيذُهَا بِكَ**﴾، بدأت الجملة بالتوكيد ﴿**إنّي**﴾ وهذا التوكيد جرى داخل سياق الجمل السابقة: إنّي نذرت، إنّي وضعتها أنثى، إنّي سميتها مريم، وكأنها أكدت هذا الخبر إرضاء لقدر الله تعالى، وقد أدى هذا التوكيد وظيفة حجاجية.

ت-التقديم والتأخير:

يؤدي التقديم والتأخير وظيفة حجاجية، ويتجلى التقديم والتأخير في خطاب امرأة عمران في عدة حالات:

- تقديم الجار والمجرور (لك) على (ما في بطني) يزيد من قوة هذا الاختصاص، فهذا التقديم أشعر بالاهتمام بتعيين المقصد بهذا التحرير والنذر، يقول الشوكاني: "تقديم الجار والمجرور لكمال العناية"[19]، وقد أدى هذا التقديم والتأخير وظيفة حجاجية.

- تقديم اسم ﴿**السَّمِيعُ**﴾ على ﴿**العَلِيمُ**﴾، العليم يتناسب مع حالها، فقد نذرت لربها بلسانها، وهذا سبيل إدراكه هو السمع، أمّا إشارتها بكلماتها إلى إخلاصها، فسبيل إدراكه العلم، وقد أدى هذا التقديم والتأخير وظيفة حجاجية.

- في قوله: ﴿**إنّي سميتها مَرْيَمَ**﴾ تقديم المسند إليه (يا المتكلم) على خبره الفعلي، يقول الألوسي: "فتقديم المسند إليه للتخصيص، يعني التسمية مني لا يشاركني فيها أبوها، وفي ذلك تعريض بِيُتْمِهَا استعطافا له تعالى، وجعلاً لِيُتْمِهَا شفيعًا لها "[20]، ولا شك أنّ مقامات التخصيص هي مقامات التوكيد، ومثل هذا التركيب دال على التوكيد بتكرار الإسناد كما هو معلوم. وقد أدى هذا التقديم والتأخير وظيفة حجاجية.

- في قوله: ﴿**إنّي أُعِيذُهَا بِكَ وذُرِّيَّتَهَا**﴾ هنا تقدم المستعاذ به ﴿**بِكَ**﴾ قبل اكتمال المستعاذ له ﴿**وذُرِّيَّتَهَا**﴾، إذا مقتضى الحال أن يقال: أُعِيذُها وذريتها بك من الشيطان الرجيم "للاهتمام به، ثم استدركت بعد ذلك الذكر (ذريتها)"[21]، وقد أدى هذا التقديم والتأخير وظيفة حجاجية.

ث-القصر:

يؤدي القصر وظيفة حجاجية، وقد ورد القصر في خطاب امرأة عمران في قولها ﴿لَكَ﴾ التي تفيد القصر، فهي تقول لك لا لغيرك، واللام تشعرنا في أصل معناها بالملكية والاختصاص.

ج-الحصر:

يؤدي الحصر وظيفة حجاجية، وقد ورد القصر في خطاب امرأة عمران، من خلال توظيف الضمير ﴿إنّك﴾، الذي أفاد حصر صفتي السمع والعلم على الله سبحانه وتعالى، وهذا يدعم دلالة التعليل والتأكيد السابقتين، كما أنّه يؤكد معنى التجدر والإخلاص الذي بنت عليه خطابها الأوّل.

ح-الربط:

تساهم أدوات الربط في اتساق وانسجام النص، كما أنّها تؤدي وظيفة حجاجية، وقد ورد في خطاب امرأة عمران حرف العطف الواو.

ج-الوصف:

يؤدي الوصف وظيفة حجاجية، وقد ورد أسلوب الوصف في خطاب امرأة عمران في وصف الله سبحانه وتعالى: السميع، العليم، الرحيم.

خ-التكرار:

يؤدي التكرار وظيفة حجاجية لأنّه يمثّل شكلا من أشكال التوكيد، قد ورد التكرار في خطاب امرأة عمران فيما يلي:

-تكرار إسناد (إنّ) إلى الضمير المتصل (ياء) في (إنّي) لأنّه الفاعل المعنوي، وإلى تاء الفاعل المتصلة بالفعل، فكأنها قالت: أنا نذرت، وهذا أقوى من نذرت وحدها، لأنّ فيها إسنادا واحدا، ثم إنّ اختيار فعل النذر دون غيره، لما في النذر من الالتزام المجبر على الوفاء.

-تكرار عبارة ﴿رَبِّ إنّي﴾ دون أن يقال (قالت إنّي وضعتها)، فقد كرر لفظة (الرب) لما فيه من الإشعار بالعطاء والقرب والرحمة، وكل ذلك لطلب العون من الله والقوة.

2.3 العامل الحجاجي:

يقوم العامل الحجاجي على الربط بين وحدتين دلاليتين داخل القول اللغوي الواحد، فالعامل الحجاجي "عبارة عن مورفيم إذا دخل في الخطاب أسهم في تقليص الإمكانات الحجاجية للكلام، وزاد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما"[22]،

فوظيفة العامل الحجاجي هو شحن الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، كما أنّه يساعد المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام، فالعوامل الحجاجية "لا تربط بين متغيّرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلاّ، وجلّ أدوات القصر"[23]، إذ تقوم العوامل الحجاجية بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية، بمعنى تقلص الوقوع في التأويلات.

وقد وردت في هذين الآية عاملان حجاجيان الأول هو أداة النفي ليس، والثاني هو أداة التوكيد إنّ. فأداة النفي (ليس) هي "عامل حجاجي يحقق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى نتيجة (ن)"[24]، فعامليّة النفي لا تدرك إلا بإدراك النتيجة التي يريد المتكلم توجيهها إلى المتلقي، فالحجة في هذه الآية تتمثل في: ﴿**وليس الذّكر كالأُنثى وإنّي سميتها**﴾ التي تتضمن عاملا حجاجيّا (ليس) والتي تعني وجود اختلاف بين الذكر والأنثى، فالعامل الحجاجي (ليس) جسّد قوته في الكلام الواقع بعده لنفي مساواة الذكر للأنثى، فيقود المتلقي إلى استخلاصه النتيجة بالرغم من وضعها لأنثى إلا أنها وفّت بوعدها لربّها.

كما نلاحظ تكرار العامل (إنّ) أكثر من مرتين والذي يفيد التوكيد، ليجعل المتلقي يسلّم بما يعرض عليه من حجج ويقتنع بالنتيجة التي تسعى إليها هذه الآية والمتمثلة في وفاء امرأة عمران بوعدها.

3.3 السلّم الحجاجي:

وهو أهم عنصر في نظرية الحجاج عند ديكرو حيث يقوم على تصنيف الأقوال حسب درجة قوة التأثير على المتلقي. يقوم السلّم بإدراج الحجج بأفق عمودي، يعرّفه ديكرو على أنّه: "علاقة ترتيبية للحجج"[25]، يعني هذا ربط علاقة الأقوال مرتّبة بحسب درجة القوّة، فـ"حين توّجه علاقة ترتيب أو قوّة العناصر الموجودة في القسم الحجاجي سنقول إنّ الحجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، فالسلّم الحجاجي هو إذن قسم حجاجي موجّه"[26]. كما عدد ديكرو ثلاثة قوانين للسلم الحجاجي هي[27]: قانون النفي، وقانون القلب، وقانون الخفض.

ويتحقق الحجاح بالسلم الحجاجي باستعمال "أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي: الأدوات اللغوية، كالروابط اللغوية، مثل (بل، لكن، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا،

فحسب، بل) السمات الدلالية ودرجات التوكيد"[28]، فالآليّات اللغوية هي التي تعقد العلاقات بين الملفوظات والأقوال وبها الوصول إلى نتيجة صادقة، ومن بين هذه الوسائل الروابط والعوامل اللغوية، حيث "أنّ وظائف الروابط الحجاجية لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العموديّ"[29]

وبعد تحليلنا للآية على المستوى الأفقي، ندرجها في السلم الحجاجي على المستوي العمودي لتوضيح قيمتها، بعاملية (إنّ):

الحجة الأولى: فلما وضعتها قالت ربّ.

الحجة الثانية: **إنّي** وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى.

الحجة الثالثة: **إنّي** سميتها مريم.

الحجة الرابعة: **إنّي** أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

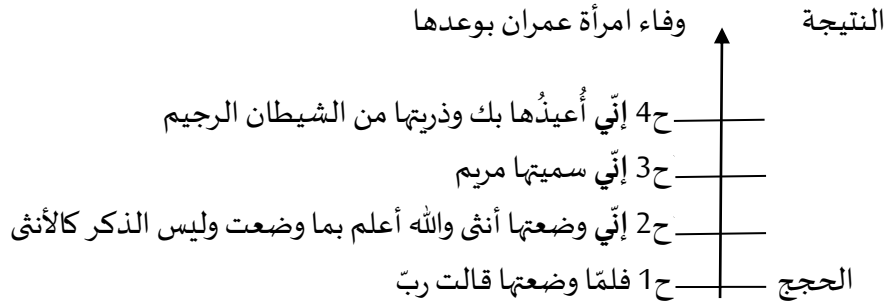

من خلال هذا السلم الحجاجي نلاحظ أنّ العامل الحجاجي (إنّ) ورد أكثر من مرّة، وقد وُظف لتأكيد الحجج والتأثير على المتلقي واستمالته لدفع الشك الذي يساوره، وكلما وردت حجة أعلى السلّم كانت الأقرب إلى النتيجة.

4. خاتمة:

إنّ توظيف النظرية الحجاجية الحديثة في دراسة خطاب امرأة عمران في سورة آل عمران جعلنا نصل إلى نتيجة هامّة وهي أن الخطاب الحجاجي عند المرأة في لا يختلف كثيرا عن الخطاب الحجاجي عند الرجل في القرآن الكريم، كما أنّ حجج خطاب امرأة عمران جاءت بأسلوب يجمع بين الحذف والتوكيد والتقديم والتأخير والقصر والحصر والوصف والتكرار، بأدوات ربط تركيبية ساهمت في انسجام واتساق الخطاب، وهذا بتوظيف العامل الحجاجي والسلم الحجاجي.

مراجع البحث وإحالاته:

1- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997، ص28.

2- **le robert. Dictionnaire** de français. Ed: martin Bach et skie Zimmermann. Paris. 2005. P23.

3- Chaïm Perlman et Lucie Oberth tytéca **. Traite de l'argumentation : la nouvelle rhétorique**. Ressers. Universitaires de Lyon. 1981. P92.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص92.

5- نفسه، ص45.

6- Ducrot et encombre.**L' argumentation dans la langue.** Pierre mardaga. ED : Bruxelles. 1980. P7

7 - IBID, p7.

8- IBID, P15.

9- IBID, P45.

10- ينظر: عمار بلخير، **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف، الجزائر 2003، ص120.

11-Ducrot et encombre.**L' argumentation dans la langue.** P50

12 - Perlman et tyteca. **La nouvelle rhétorique**. P259

13- IBID. P259.

14- ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار الجيزة، مصر، 2001، ص330.

15- ينظر: أبو السعود العمادي، **تفسيرأبي** السعود، **إرشاد مزايا العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2، ص27.

16- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر، ج3، ص232.

17- الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج3، ص232.

18- محي الدين درويش، **إعراب القرآن وبيانه**، ط3، دار الإرشاد، دمشق، 1992، ص498.

19- الشوكاني، **فتح القدير**، تحقيق: فريال علوان، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1999، ج1، ص299.

20- ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص136.

21- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، **البحر المحيط**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ج3، ص119.

22- عابد جدوع حنون، **الحجاج في كلام الإمام الحسين**، ط1، مؤسسة وارت الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، 2017، ص131.

23- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء. المغرب، 2006، ص27.

24- سليمة محفوظي، **عاملية أداوت النفي الحجاجية**، منتديات واتا الحضارية، www.wat.cc

25- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ص20.

26- جاك موشلر، وآن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، ط2، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص298.

27- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ص22-25

28- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، ط1، الدار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ص507-508.

29- المرجع نفسه، ص473.

6.قائمة مراجع البحث وإحالاته:

أ. اللغة العربية:

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997.

2- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر، ج3.

3-أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء. المغرب، 2006.

4- - أبو حيان الأندلسي الغرناطي، **البحر المحيط**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ج3.

5-أبو السعود العمادي، **تفسير أبي السعود، إرشاد مزايا العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج2.

6-جاك موشلر، وآن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، ط2، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

7-سليمة محفوظي، **عاملية أداوت النفي الحجاجية**، منتديات واتا الحضارية، www.wat.cc

8- الشوكاني، **فتح القدير**، تحقيق: فريال علوان، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1999، ج1.

9- الطاهر بن عاشور، **التحريروالتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج3.

10-الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار الجيزة، مصر، 2001.

11- عابد جدوع حنون، **الحجاج في كلام الإمام الحسين**، ط1، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، 2017.

12- عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، ط1، الدار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004.

13-عمار بلخير، **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية**، منشورات الاختلاف، الجزائر 2003.

14- محي الدين درويش، **إعراب القرآن وبيانه**، ط3، دار الإرشاد، دمشق، 1992.

ب. اللغة الأجنبيّة:

1- Chaïm Perlman et Lucie Oberthtytéca **.traite de l' argumentation: la nouvelle rhétorique**. Ressers.Universitaires de Lyon. 1981.

2- Ducrot et encombre.**L' argumentation dans la langue.** Pierre mardaga. ED : Bruxelles. 1980.

3- **le robert. Dictionnaire** de français. Ed: martin Bach et skie Zimmermann. Paris. 2005.